اللفظ القرآني ومقاييس الفصاحة

الدكتور الشيخ محمد عبد الرحمن أبو سيت
المدرس بقسم البلاغة والنقد

تقـــديم :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعـــد :

فلقد تعددت آراء العلماء فى بيان وجه إعجاز القرآن الكريم ، وتنوعت مذاهبهم فى ذلك على حسب ثقافاتهم واتجاهاتهم .

وهذه الآراء على كثرتها لم تصل إلى الرأى الفصل فى هذا الموضوع ، ولعل هذا فى حد ذاته من أسرار الإعجاز القرآنى ، فتعدد الآراء فى شرحه وبيانه ، دون الوصول إلى حقيقته وماهيته ، يبقى البحث فيه مستمرا ، لا ينقطع ، ومتجددا لا يخلق ، ومشوقا لا يمل ، وهذا سر بديع ، جدير بالنظر والتقدير .

قال ابن سراقة : اختلف أهل العلم فى وجه إعجاز القرآن . فذكروا فى ذلك وجوهاً كثيرة ، كلها حكمة وصوابا ، وما بلغوا فى وجوه إعجازه جزءاً واحدا من عشر معشاره(١) .

---

(١) الإتقان ٢/١٢١ ، ١٢٢

ولقد جرى كثير من العلمـــاء على أن القرآن الكريم معجز بنظمه البديع ، وتأليف العجيب ، المباين لما أثر عن العرب الفصحاء ، والذى أعجز أساطينهم ، حين تحداهم فلم يستطيعوا الإتيان بمثله ، أو بمثل أقصر سورة منه .

ولما كانت الألفاظ جزءاً أساسياً من أجزاء النظم ، اقتضى ذلك : البحث فى خصائصها ، وسماتها ، لإظهار حسنها وكمالها ، نظراً لأن صفاتها فى النهاية تعود إلى النظم .

ومن هنا كان هذا البحث : « اللفظ القرآنى ومقاييس الفصاحة » الذى سيلقى الضوء على اللفظ القرآنى ، من حيث مادته ، وصيغته ، وموقعه ، ودلالته ، وملاءمته للسياق ، وغير ذلك مما يبرز السمات الفنية للفظ القرآنى ويظهر فضله وتميزه على ما سواه . والله الهادى إلى سواء السبيل .

ما المقصود باللفظ القرآنى : ؟

مرادنا باللفظ القرآنى : اللفظ الذى استعمل فى آية من آيات القرآن الكريم ، ووجد فى جملة من جمله ، فهو بهذا قد اكتسب وصفاً شريفاً لم يحظ به لفظ آخر من الألفاظ التى لم ترد فى كتاب الله العظيم .

والمتأمل فى الألفاظ القرآنية يراها فى جملتها من ألفاظ اللغة العربيـة ذاتها . فهى ليست بغريبة عنها ، ولا خارجة عليها .

وقد تحقق بهذا أمران :

الأول : أن القرآن الكريم بمجرد نزول آياته قد صار مصدر هداية ورشاد فى البيئة العربية ، حيث سهل عليهم تعقل آياته ، وتدبر تشريعاته ، ولم يحل بينهم وبين فهمه حائل ، فهو بلغتهم ولسانهم .

قال تعالى : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »(١) .

وبذلك قطعت الأعذار ، ومنعت الحيل ، ولم تترك للصادين عن الهداية حجة ، ولو نزل بلسان أعجمى لقالوا : لا نفقهه ولا نفهمه ، ولو نزل بلساننا لآمنا به .

قال تعالى : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى »(٢) .

والثانى : صحة التحدى ، وثبوت الإعجاز ، إذ لو نزل القرآن الكريم بغير العربية لما صح تحدى العرب به عقلا ، لأنه بغير لسانهم ، وعجزهم عن مجاراته حينئذ لا يثبت إعجازه ، إذ كانوا سيحتجون ويقولون لنا العذر فى عجزنا عن مجاراته ولو كان بلغتنا لأتينا بمثله .

ولكن نزول القرآن الكريم باللغة العربية بين أرباب اللغة العربية ، ومن يملكون زمام البلاغة . ويتحدون به ، فيثبت عجزهم ، هذا ما يتحقق به إعجاز القرآن الكريم .

المقاييس البلاغية لفصاحة اللفظ :

وضع البلاغيون شروطا لفصاحة اللفظ . يكون اللفظ حسنا إذا استوفاها ، وقبيحا إن فقدها .

ومن أوائل اللذين دونوا هذه الشروط فى كتبهم « الجاحظ » فى كتابه

---

(١) سورة يوسف : آية ٢

(٢) سورة فصلت : آية ٤٤

« البيان والتبيين »(١)، وتبعه فى ذلك « أبو هلال العسكرى » فى كتابه : « الصناعتين »(٢) .

وجاء « ابن سنان الخفاجى » فتوسع فى الحديث عن اللفظة المفردة فى كتابه « سر الفصاحة »، واهتم ببيان شروط فصاحتها، وجعلها ثمانية، متى تكاملت فى الكلمة فلامزيد على فصاحتها(٣) .

وكتب « ابن الأثير » فى كتابه « المثل السائر » فصلا هاما عن اللفظة المفردة، فصل فيه مايتصل بفصاحتها(٤) .

ثم جاء « الخطيب القزوينى »، فأخرج كلام هؤلاء المتقدمين فى مقاييس دقيقة، فجعل فصاحة اللفظة المفردة مشروطة بخلوها من ثلاثة عيوب :

١ — تنافر الحروف .

٢ — الغرابة .

---

(١) ينظر البيان والتبيين : ١٤٤/١ . ومؤلفه : أبو عثمان عمرو بن بحر «الجاحظ»، ت : ٢٥٥ هـ .

(٢) ينظر الصناعتين : ٣٩ — ومؤلفه : الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى . ت : ٣٩٥ هـ .

(٣) ينظر سر الفصاحة : ٨٤ — ٨١ ومؤلفه : أبو محمد عبدالله بن محمد ابن سنان الخفاجى : ت ٤٦٦هـ .

(٤) ينظر المثل السائر : ٥٦ — ٧٤ ، ومؤلفه : أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيبانى . ت ٦٣٧هـ .

٣ — مخالفة القياس اللغوى(١) .

ويضاف إلى ذلك عيب رابع هو : الابتذال ، فالكلمة الفصيحة لا تكون ساقطة عامية مبتذلة(٢) .

وبالتأمل فى هذه المقاييس التى جعلوها لفصاحة اللفظ نرى أن عيب اللفظ وقبحه إما أن يرجع إلى مادته أى حروفه ، وهو ما يعرف بتنافر الحروف ، وإما أن يرجع إلى صورته وصيغته ، وهو ما يعرف بمخالفة القياس اللغوى ، وإما أن يرجع إلى دلالته على معناه ، وهو ما يعرف بالغرابة ، وما يعرف بالابتذال(٣) .

وبناء على ذلك ينبغى أن نتناول فى بحثنا هذا ، اللفظ القرآنى من هذه النواحى الثلاث : مادته ، وصورته ، ودلالته ، ثم نتجاوز ذلك إلى ناحية أخرى ، موقعه ، حيث إن اللفظ لا تظهر قيمته التعبيرية إلا فى التركيب.

اللفظ القرآنى من حيث مادته :

مادة اللفظ هى حروفه التى يتركب منها ، ولا بد فى اللفظ الفصيح من أن تتناسق حروفه ، وتتلاءم مخارجه ، حتى يسهل النطق به ، ويجرى على اللسان كما يجرى الدهان ، ويصل إلى السمع غير مستكره ولا ناب ، فيأنس له ، ويطرب به وتجد الأذن لذة فى سماعه ، كما يجد اللسان عذوبة فى نطقه .

وإذا تأملت الألفاظ القرآنية وجدتها وقد كملت فيها هذه النعوت ، فهى سلسة لينة ، معتدلة الحروف . متناسقة الأصوات

---

(١) الإيضاح: ٢١/١ ، ومؤلفه : أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن عمر . ت ٧٣٩ هـ .

(٢) ينظر سر الفصاحة : ٦٣ ، والمثل السائر : ٧٠

(٣) تجريد البنانى مع تقرير الإنبابى : ٢٠٩/١

الأصوات متلائمة المخارج ، لا تتنافر بين حروفها ولا تعسر فى نطقها ، يسهل جريانها على اللسان ، ويحسن وقعها فى الآذان .

ولما كانت الألفاظ الثلاثية الأصول هى أساس الألفاظ وأيسرها على اللسان ، نجد أن القرآن الكريم يؤثر استخدمها ويستعملها بكثرة نظرا لخفتها وعذوبتها ، وتأتى بعدها فى الاستعمال الألفاظ الرباعية الأصول .

أما الألفاظ الخماسية الأصول فلم يرد منها شىء فى القرآن الكريم ، لأن هذا مما لا عذوبة فيه ولا سهولة ، إلا ما كان من اسم عرب ولم يكن فى الأصل عربيا ، كإبراهيم وإسماعيل وطالوت وجالوت ، ونحوها ، وقد تخلله المد ، فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان (١) .

وليس معنى هذا أن كل ألفاظ القرآن الكريم قصيرة ، فقد وردت فى القرآن ألفاظ هى أطول الكلام عدد حروف ومقاطع ، مما يكون مستثقلا بطبيعة وضعه أو تركيبه . ولكنها قد خرجت فى نظم القرآن مخرجا سهلا ، فكانت من أحضر الألفاظ حلاوة ، وأعذبها منطقا ، وأخفها تركيبا ، إذ تراه قد هيأ لها أسبابا عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات ، فلم يجرها فى نظمة إلا وقد وجد ذلك فيها ، كقوله تعالى :(ليستخلفنهم فى الأرض)(٢) .

فهى كلمة واحدة من عشرة أحرف ، وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف ، ومن نظم حركاتها ، فإنها بذلك صارت فى النطق كأنها

---

(١) إعجاز القرآن : ٢٦٠ — الرافعى . وخصائص التعبير فى القرآن الكريم : ١٩٨ . د عبد العظيم المطعنى .

(٢) سورة النور : آية : ٥٥

أربع كلمات ، إذ تنطق على أربعة مقاطع ، وقوله تعالى : (فسيكفيكهم الله) (١) ، فإنها كلمة من تسعة أحرف ، وهى ثلاثة مقاطع ، وقد تكررت فيها الياء والكاف ، وتوسط بين الكافين هذا المد الذى هو سر الفصاحة فى الكلمة كلها (٢) .

وهكذا ترى أن القرآن الكريم حين يستخدم الألفاظ الطويلة يمهد لها بما يتلاءم معها من الألفاظ ، أو الحركات والسكنات ، أو تقسيمها إلى مقاطع ، وبذلك يوجد لها وضعا ملائما لطولها ويهيء لها جوا متناسقا مع ضخامتها ، لتجرى على اللسان فى يسر وسهولة .

والثقل المعيب فى الألفاظ ، ما كان مترتبا على تنافر الحروف ، ويفضى إلى تعسر اللسان فى النطق باللفظ ، ونفرة الأسماع منه ، ونبو الذوق عنه ، كما فى الأمثلة التى ضربوها لذلك ، ومنها : الهعخع ، ومثعنجر ، ومستشزرات ، وغيرها (٣) .

أما اللفظ الذى يوجد فيه قدر هين من الثقل . لا يؤدى إلى تعسر فى النطق به ، وهو فى ذات الوقت يضفى عليه قوة وفخامة يحتاجها المقام ، فهذا اللفظ فصيح ، وهذا الثقل مما لا يخل بفصاحته ، بل يضاعف من حسنه ، ويزيد من بهائه ، ويقوى من شأنه فى الأسلوب .

وهذا الثقل الفصيح ، أو ضخامة اللفظ التى تضفى على التعبير قوة قوة وجزالة يقتضيها المقام ، قد نحسها فى بعض الألفاظ القرآنية ، وإذا

---

(١) سورة البقرة : أية : ١٣٧

(٢) إعجاز القرآن : ٢٦٠

(٣) الهعخع : قيل إنه اسم شجر ، والمثعنجر : السائل من الماء أو الدمع ، ومستشزرات : أى : مرتفعات . ينظر الإيضاح : ١/٢٢ ، ٢٣

أنعمنا النظر فى هذه الألفاظ رأيناها بضخامتها هذه تصور الموقف الذى وردت فيه أدق تصوير ، ولا يمكن لغيرها من الألفاظ أن يقوم مقامها ، وبذلك يتحقق لنا أن الصورة التى جاءت عليها هى المطلوبة للمقام ، وأن هذا القدر من الثقل أو الضخامة هو أس جمالها ، وسر رونقها ، وهو الذى ينطوى على المعانى ، ويوحى بالمراد .

نقرأ قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) (١) .

فتحس فى كلمة « اثاقلتم » بشىء ما من الثقل أو الضخامة ، ولكنه ثقل فصيح لا يؤدى إلى تعسر فى النطق بها ، وتجد هذه الكلمة بما فيها من ضخامة تصور تقاعسهم وتثاقلهم عن الجهاد فى عام العسرة أدق تصوير ، إن الأذن حين تسمع هذه اللفظة يتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل ، يرفعه الرافعون فى جهد ، فيسقط من أيديهم فى ثقل ... ولو أنك قلت تثاقلتم لخف الجرس ، ولضاع الأثر المنشود ، ولتوارت الصورة المطلوبة التى رسمها هذا اللفظ ، واستقل برسمها (٢) .

وتقف أمام كلمة « أعهد » فى قوله تعالى : (ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) (٣) .

---

(١) سورة التوبة . آية : ٣٨

(٢) خصائص التراكيب : ٣٣ . د محمد أبو موسى . والتصوير الفنى فى القرآن : ٧٨ . سيد قطب .

(٣) سورة يس : آية : ٦٠ ، ٦١

فتحس فيها بقوة العهد وفخامته ، بناء على الصورة التى يجسدها لفظ « أعهد » بحروفه الحلقية المجهورة ، والمقام يحتاج إلى ذلك ، حيث ينفرد المجرمون بمصير خاص بهم يوم القيامة . ويقررون فيه بالعهد العظيم الذى أخذه الله على بنى آدم بعبادته وحده لا شريك له ، ونبذ عبادة الشيطان ، توبيخا وتقريعا لهم على مخالفتهم هذا العهد المؤكد . ولا يمكن للفظ آخر أن يصور ضخامة العهد وفخامته سوى لفظ الآية .

وقد زعم « الزوزنى » أن فى كلمة « أعهد » ثقلا قريبا من التناهى ، لقرب مخرج الهمزة والعين والهاء ، وهذا زعم باطل لأن الكلمة خفيفة على اللسان(١) ولا يجد الناطق أى لون من الصعوبة فى النطق بها ، وما فيها من بعض الثقل الناشىء من قوة حروفها وشدتها ، هو سر قوتها وفخامتها ومبعث إشعارها بقوة العهد وضخامته ، والكلمة بعد هذا مقسمة إلى مقطعين ، وهذا قد أزاح ثقلها وذلل ما فيها من صعوبة .

وقرب مخارج الحروف أو بعدها ليس هو الفيصل فى الحكم على اللفظ بالثقل والتنافر ، إنما الفيصل فى ذلك هو الذوق الصحيح ، والطبع السليم ، فقد تتركب الكلمتان من حروف واحدة متباعدة المخارج ، وتكون إحدهما خفيفة والأخرى ثقيلة مثل : علم ، وملع ، فحروفهما واحدة ، بعيدة المخارج ، والأولى منهما خفيفة على اللسان ولا ينبو عنها الذوق ، والثانية ثقيلة على اللسان ، كريهة فى السمع ، يرفضها الذوق ، ويأنف منها الطبع .

وقد تتركب الكلمة من حروف متقاربة المخرج وتبدو خفية لا ثقل فيها مثل : ذقته بفمى ، فالباء والفاء والميم أحرف شفوية متقاربة المخرج ، ومع هذا لا يحس الناطق ثقلا فيها (٢) .

---

(١) ينظر بغية الإيضاح : ١٣/١

(٢) ينظر : المثل السائر : ٦٠ ، ٦١ ، وبغية الإيضاح : ١٢/١

وتأتى إلى قوله تعالى : (قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)(١) .

فتشعر فى نطق كلمة « أنلزمكموها » بشىء ما من الجهد اللسانى ، الذى يحكى صعوبة الإلزام بالآيات وهم لها كارهون ، وبعد أن عميت عليهم بشدة ، وأخفيت عنهم بقوة ، وتحس أن كلمة أنلزمكموها ، تصور جو الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر فى النطق ، وشد بعضها إلى بعض ، كما يدمج الكارهون مع مايكرهون ، ويشدون إليه وهم منه نافرون(٢) .

وبذلك تجد لبعض الثقل فى هذه الكلمة أثرا قويا فى تصوير الموقف بدقة ، وتتثبت من أن هذا الثقل الهين هو المورد لمعانيها الغزيرة ، ولإيحاءاتها الكثيرة .

وتسمع كلمة « يصطرخون » فى قوله تعالى : (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) (٣) ، فتحس بفخامة فى حروفها وضخامة فى أصواتها ويخيل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة كما تلقى إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذى لا يجد من يهتم به أو يلبيه ، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذى هم فيه يصطرخون (٤) .

---

(١) سورة هود : آية : ٢٨

(٢) خصائص التراكيب : ٣٤ ، والتصوير الفنى القرآن : ٧٨ .

(٣) سورة فاطر ، آية : ٣٦ ٣٧ .

(٤) التصوير الفنى فى القرآن : ٧٩

إن الضخامة التى نحسها فى حروف « يصطرخون » مبعث لكثير من المعانى التى تشعر بها الكلمة ، وهى فخامة لا استغناء عنها ، ولا يمكن للفظ أخف منها أن يقوم مقامها مؤديا وظيفتها فى التعبير .

ومما سبق نقرر أن اللفظ القرآنى من حيث مادته عذب سلس معتدل فى حرووفه ، متلائم فى مخارجه ، لاعسر فيه ولا صعوبة ، وما قد نشعر به فى بعض الألفاظ من فخامة فى النطق تحتاج إلى بعض الجهد إنما هو دليل الفصاحة ، وأمارة الجزالة التى يقتضيها المقام ، وتفتقر إليها الصورة التعبيرية .

اللفظ القرآنى من حيث صورته :

صورة اللفظ هى صيغته التى ورد عليها ، وهيئته التى جاء فيها ، ومعلوم أن اللفظ العربى له صور متعددة ، وصيغ مختلفة ، فقد يكون اللفظ اسما أو فعلا أو حرفا ، والاسم قد يكون جامدا أو مشتقا والمشتقات على أنواع كما أن الاسم قد يكون مفردا أو مثنى أو مجموعا ، ولكل منها أنواع وصور .

والفعل إما ماض أو مضارع أو أمر ، وكل منها له صور متعددة وأشكال شتى .

ولكل صيغة من الصيغ ، أو هيـــئة من الهيئات معان خاصة بها ، وايحاءات مقصورة عليها ، ودلالات لا توجد فى سواها .

واللفظ الفصيح لابد أن تكون صيغته موافقة للقياس اللغوى ، وسائرة على قواعد اللغة العربية ، بحيث لا تقع على خطأ فى صياغته ، ولا شذوذ فى هيئته .

ولقد جمع القرآن الكريم كثيرا من الصيغ ، وحوى عديدا من الهيئات

التى وردت فى اللسان العربى ، واللفظ القرآنى يأتى فى أقوى الصيغ أداء للمعنى ، ويبرز فى أقدر الأشكال تصويراً للموقف ، ويرتدى أحسن الهيئات ملاءمة للسياق ، مع الصحة والموافقة للمقاييس اللغوية .

ولسنا بصدد حصر الصيغ والهيئات الوارده فى القرآن الكريم ، ولكننا سنكتفى بضرب بعض الأمثلة للتدليل على ما ذكرناه ، مع الإشارة إلى ما توحى به الصيغة من معان ولطائف .

فالصيغ المصدرية شائعة فى القرآن الكريم ، ومن ذلك :

فى قوله تعالى : (ذلك الكتاب لاريب فية هدى للمتقين) (١) تجد كلتى « ريب » و « هدى » . وفى نفى الريب مع تنكيره إشعار بنفى جنس الريب عنه ، فلا تحوم حوله شائبة من شك .

و « هدى » مصدر على وزن نادر فى المصادر ، لم يرد منه إلا الهدى ، والتقى ، والسرى ، والبكى ، بالقصر فى لغة(٢) .

وفى التعبير به إشارة إلى أن الكتاب هو عين الهدى ، فمن سار على نهجه فقد لزم الهدى .

وفى قوله تعالى : (إنما المشركون نجس) (٣) ترى كلمة « نجس » وقد وصفوا بها ، وفى وصفهم بالمصدر مبالغة فى وصفهم بالنجس ، كأنهم عين النجاسة(٤) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢
(٢) حاشية الشهاب : ١ ١٩٦
(٣) سورة التوبه : آية ٢٨
(٤) الكشاف : ٢/١٨٣

وقد أكد ذلك بالقصر بإنما ، فصار المشركون مقصورين على هذا الوصف الشائن دون سواه .

وفى قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) (١) ، تجد كلمة « تكليما » وهى مصدر مؤكد لعامله ، وسر التعبير به رفع احتمال المجاز ، وبيان أن التكليم كان ، وبغير واسطة ، قال الفراء : العرب تسمى ما وصل إلى الإنسان كلاما بأى طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فإذا أكد به لم يكن إلا حقيقة الكلام (٢) .

وفى قوله تعالى :(لو نعلم قتالا لا تبعناكم) (٣) كلمة « قتالا » وهى مصدر وجاء نكرة ، وهذا القول حكاية عن المنافقين الذين لم يذهبوا مع الرسول ﷺ وجيشه إلى غزوة أحد .

والتعبير بالمصدر فيه إشارة إلى أنهم ينفون وصف القتال بالمرة عما حدث فى هذه الغزوة فليس فى مذهبهم قتالا ، ولا يصح أن يسمى قتالا .

قال الزمخشرى : يعنون بهذا القول أن مافيه المسلمون لخطأ رأيهم وذللهم عن الصواب ، ليس بشىء ، ولا يقال لمثله قتال ، إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة(٤) .

ويعبر القرآن الكريم بصيغتى المرة والهيئة ،وترى الأولى فى قوله تعالى: (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين) (٥) ،

فنفحة إسم مرة ، وفى التعبير به مبالغات فى بيان قلة العذاب ، من حيث مادته لأن النفح هبوب رائحة الشىء ، ومن حيث صيغته ، لأنه بناء

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٤ (٢) تفسير أبى السعود : ٢/٢٥٦
(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٧ (٤) الكشاف : ١ / ٤٧٨
(٣) سورة الأنبياء : آية ٤٦

يدل على المرة ، ومن حيث تنكيره المخبر بالقلة ، ومن حيث ذكر المس قبله ، وبذلك صارت الكلمة مخبرة عن أدنى شيء من العذاب (١) .

وترى الثانية فى قوله تعالى : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)(٢) فصبغة اسم هيئة يبين حالة الصبغ ، وعلماء البلاغة يخرجون هذا اللفظ على الاستعارة أو المشاكلة ، فعلى الاستعارة : يكون مستعارا للفطرة والطبيعة التى خلقهم الله عليها ، لأنهم يتزينون بها كما يتزين الثوب بصبغة ، أو للهداية التى هداهم الله بها ، لذلك أو للإيمان الذى أظهره الله عليهم كما يظهر أثر الصبغ على المصبوغ .

وعلى المشاكلة(٣) : يكون بمعنى تطهير الله ، أى طهر الله قلوبنا بالإيمان فعبر بالتطهير عن درن الشرك بالصبغ على سبيل المشاكلة التقديرية ، فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمى المعمودية ، ويعتقدون أنه تطهير للمولود . فأطلق الصبغ على التطهير بالإيمان للمشاكلة (٤)

ويعبر القرآن الكريم بالمشتقات كثيرا ، فترى اسم الفاعل فى قوله تعالى : (غافر الذنب وقابل التوب) (٥) ، وهو يشير إلى ثبوت صفتى غفران الذنب وقبول التوب لله سبحانه وتعالى ، ويدل على استمرارها ، وفى هذا بعث للعباد على التوبة والاستغفار .

---

(١) تفسير البيضاوى وحاشية الشهاب : /٢٥٧

(٢) سورة البقرة : آية ١٢٨

(٣) هى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا ، وهى هنا من النوع الثانى . ينظر الإيضاح ٢٦/٦

(٤) الكشاف : ٣١٦/١ ، وحاشية الشهاب ٢٤٧/٢

(٥) سورة غافر آية ٣

وتراه فى قوله تعالى :(وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً)(١) .

فكل من «مهلك» و «معذب» اسم فاعل وهو يشعر بيأس القائلين من استجابة الموعوظين ، بناء على أن هلاكهم وعذابهم ثابت عندالله سبحانه وتعالى ، ومتقرر ، فهم مهلكون ومعذبون لامحالة(٢) .

وترى صيغه المبالغة فى قوله تعالى : (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)(٣)، أى كثير الغفران،عظيم المغفرة لمن سار فى الطريق المستقيم فتاب . وآمن . وعمل صالحاً ، واهتدى ، ولما كانت هذه الأعمال عظيمة كبيرة القدر ، كان جزاؤها مغفرة عظيمة من الله عز وجل .

وتراها فى قوله تعالى : (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)(٤)، فقد بولغ فى وصفه بالظلم والجهل حيث لم يرع الأمانة ، ولم يقم بالمحافظة عليها .

وترى اسم المفعول فى قوله تعالى:(ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود)(٥) ، فمجموع ومشهود اسما مفعول ، والتعبير بهما يدل على الثبوت والوقوع ، ويفيد أن هذا اليوم واقع لامحالة ، قال الزمخشرى : فإن قلت : لأى فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟قلت : لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم ، وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعاداً مضروبا لجمع الناس له ، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة ، وهو أثبت

---

(١) سورة الأعراف . آية ١٦٤

(٢) ينظر تفسير أبى السعود ٢٨٥/٣

(٣) سورة طه : آية : ٨٢

(٤) سورة الأحزاب . آية :٧٢

(٥) سورة هود . آية : ١٠٣

أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون عنه، ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوب مالك، محروب قومك، فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل(١)، وتجد من المشتقات غير ما ذكرناه كثيراً غزيراً، وتكثر صيغ الأفعال في النظم القرآني، ومن ذلك:

صيغة «فعل» في قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)(٢).

والتعبير بها في قوله: «نزلنا» يدل على أنه نزل على سبيل التدريج والتنجيم، وليس على دفعة واحدة(٣).

وصيغة «المفاعلة» في قوله تعالى: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا)(٤)، وفي التعبير بلفظ «يدافع» مبالغة في المدافعة عن المؤمنين، وصيغة «المفاعلة» هنا مستعارة للمبالغة، أو مجاز عن لازمها لأن من يغالب يجتهد كل الاجتهاد(٥).

وصيغة «الاستفعال» في قوله تعالى: (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(٦)، وفي التعبير بها دلالة على أنهم يطلبون ذلك، ولكنهم لا ينالون هذا المطلب، ولا يجابون إليه.

وصيغة «الافتعال» في قوله تعالى: (والله يختص برحمته من

---

(١) الكشاف: ٢٩٢/٢
(٢) سورة البقرة. آية ٢٣
(٣) الكشاف: ٢٣٨/١
(٤) سورة الحج، آية: ٣٨
(٥) حاشية الشهاب: ٢٩٩/٦
(٦) سورة الأعراف. آية: ٣٤

يشاء)(١) وفى التعبير بها إشعار بالإصطفاء للرحمة ،وإشارة إلى الاختيار للفوز بفضل الله عز وجل .

وصيغة البناء للمجهول ، فى قوله تعالى : (هـــذه بضاعتنا ردت إلينا)(٢) .

قال أبو السعود : وصيغة البناء للمفعول للإيذان بكمال الإحسان ، الناشىء عن كمال الإخفاء ، المفهوم من كمال غفلتهم عنه ، بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله(٣) .

وغير ذلك من الصيغ المتعددة ، الموحية بالمعانى الجليلة . والمشتملة على الأسرار البديعة .

ويجب أن نقرر أن ما ذكرناه لا يعد إلا أن يكون رشفة من منهل عذب فياض وقصدنا بذكره التدليل على اشتمال القرآن الكريم على معظم الصيغ والهيئات التى وردت فى اللسان العربى . مع صحة الصياغة ، ودقة الوضع ، وحسن الدلالة . وغزارة المعانى .

اللفظ القرآنى من حيث دلالته :

يشترط البلاغيون فى اللفظ الفصيح أن يكون واضح الدلالة على المعنى المراد ، لا غرابة فيه ولا وحشية ، وأن يكون رفيعاً بعيداً عن ألفاظ العامة ، لا ابتذال فيه ولا سوقية .

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٠٥

(٢) سورة يوسف : آية : ٦٥

(٣) تفسير أبى السعود : ٤/ ٢٩٠

وللفظ دلالتان : دلالة وضعية ، هى معناه الذى وضع له فى اللغة ، ودلالة عقلية وهى التى تفهم من معناه اللغوى مع سياق الكلام، والأحوال والقرائن .

والبلاغيون يسمون الدلالة الأولى : المعنى الأول ، ويسمون الثانية : المعنى الثانى ، أو يطلقون على الأولى : المعنى ، وعلى الثانية . معنى المعنى .

وقد بين الإمام عبد القاهر ذلك فقال : الكلام على ضربين : ضرب تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن «زيد» مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت : خرج زيد ، وضرب آخر لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه فى اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض .

فإذا قلت : هو كثير رماد القدر ، أو قلت فى المرأة نؤوم الضحى ، فإنك فى جميع ذلك لا تفيد غرضك الذى تعنى من مجرد اللفظ ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذى يوجبه ظاهره ، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا ، هو غرضك ، كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف ، ومن طويل النجاد أنه طويل القامة ، ومن نؤوم الضحى أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها .... وإذ قد عرفت هذه الجملة ، فهنا عبارة مختصرة وهى أن تقول : المعنى ، ومعنى المعنى ، وتعنى بالمعنى : المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذى تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى : أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ، كالذى فسرت لك(١).

وإذا تأملنا ألفاظ القرآن الكريم وجدناها واضحة الدلالة على معانيها ،

---

(١) دلائل الإعجاز : ٢٦٢ ، ٢٦٣

بينة لا لبس ولا خفاء ولا غموض فيها ، ليست بالغريب الوحشى ، ولا بالساقط السوقى ، يقرؤها العامة والخاصة فلا يشعرون فيها بغرابة ، ولا يحسون فيها بوحشية .

قال ابن الأثير فى وصف فاتحة الكتاب : وإذا نظرنا إلى ما اشتملت عليه من الألفاظ وجدناها سهلة قريبه المأخذ . يفهمها كل أحد حتى صبيان المكاتب ، وعوام السوقة ، وإن لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة ، فإن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله ، وفهم العامة معناه(١) .

ويسرى وصف « ابن الأثير » على معظم آيات الكتاب الكريم ، وصدق الله العظيم القائل : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)(١) .

ويجب أن نقرر أن ماجمعه علماء اللغة من ألفاظ أطلقوا عليها « غريب القرآن » ، وقاموا بشرحها ، ليس غريبا بالمعنى الذى يخل بالفصاحة عند البلاغيين ، وهم لا يعنون بهذه التسمية ذلك المعنى الذى تنزهت عنه ألفاظ الكتاب الكريم .

فهذا الذى يطلقون عليه « الغريب » ألفاظ قد برئت من الثقل على اللسان ، وسلمت من الكراهة فى السمع . وبعدت عن الوحشية والغرابة ، وقد كانت واضحة للعرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم وتحداهم ، ولكنها

---

(١) المثل السائر : ٦٢

(٢) سورة القمر آية : ١٧

من الألفاظ العالية الرفيعة ، التى قل دورانها على الألسنة ، وارتفعت عن المستوى الشائع(١) .

وهذا مايجعلها تحتاج إلى تدبر وإعمال فكر ، حتى تعلم معانيها، وتدرك مراميها ، ولم يقل أحد ولا يسوغ له أن يقول شيئاً ينقص من فصاحة مثل هذه الألفاظ .

ومن بلاغة الأسلوب أن يشتمل على السهل والجزل ، والجلى الظاهر والخفى الذى يحتاج إلى إيضاح ،كل ذلك على حسب ماتقتضيه الأحوال وما تتطلبه المقامات .

هذه الكلمات التى يسمونها بالغريب كلمات قوية جزلة . يحتاج فى معرفة معانيها إلى نظر ، ولكنها ليست بالمستغلقة ، ولا بالمستعصية على الأفهام ، وهى تتلاءم مع المقام خير تلاؤم ، وتتناسب مع الأحوال تمام التناسب ، فهى فى موضعها لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا يتسنى لغيرها أن يقوم مقامها مؤدياً وظيفتها التعبيرية فى الأسلوب .

وإذا أخذنا مثلا من هذا الغريب ككلمة « ضيزى » بمعنى « جائرة » فى قوله تعالى : (تلك إذن قسمة ضيزى)(٢) ، نجد أن هذه الكلمة ضرورية فى موقعها ، ولا يمكن لغيرها أن يقوم مقامها مؤدياً ما تؤديه من معان ، وماتوحى به من أسرار .

قال الرافعى : وحسن هذه الكلمة فى نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ، ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها فإن السورة التى هى منها وهى سورة النجم ، مفصلة كلها على الياء ، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ، ثم هى فى معرض الإنكار عن العرب ،

---

(١) ينظر من بلاغة القرآن : ٩٠ د.أحمد بدى .

(٢) سورة النجم . آية : ٢٢

إذ وردت فى ذكر الأصنام وزعمهم فى قسمة الأولاد ، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع وأدهم البنات ، فقال تعالى . (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى) فكانت غرابة اللفظة أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التى أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور فى هيئة النطق بها الإنكار فى الأولى ، والتهكم فى الأخرى ، وكان هذا التصوير أبلغ ما فى البلاغة ، وخاصة فى اللفظة الغريبة التى تمكنت فى فى موضعها من الفصل ، ووصفت حالة المتهكم فى إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى أسفل والأعلى ، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية . .

وإن تعجب فعجب نظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه على ماقبلها إذ هى مقطعان : أحدهما مد ثقيل ، والآخر مد خفيف ، وقد جاءت عقب غنتين فى « إذن » و « قسمة » وإحداهما خفيفة حادة ، والأخرى ثقيلة متفشية ، فكأنها بذلك ليست إلا مجاوبة صوتية لتقطيع موسيقى ، وهذا معنى رابع للثلاثة التى عددناها آنفا .

أما خامس هذه المعانى فهو أن الكلمة التى جمعت المعانى الأربعة على غرابتها ، إنما هى أربعة أحرف أيضاً »(١)

فبين الرافعى أهمية هذه الكلمة للمقام ، وقوتها فى أداء المعنى ، بيانا شافيا ، ففيها محافظة على الفواصل التى وردت فى السورة كلها على نمط واحد

وفيها غرابة تتلاءم مع غرابة قسمتهم الظالمة الجائرة .

وفيها تصوير بجرسها وطريقة نطقها وغرابتها ، لحالة الإنكار عليهم ، والتهكم والسخريه بهم .

---

(١) إعجاز القرآن : ٢٦١ ، ٢٦٢ .

وقد مكن لها النظم القرآنى بما سبقها من مقاطع وحركات وسكنات فجاءت متجاوبة مع سائر النظم ، ومتلائمة معه .

ثم هى على أربعة أحرف فهى من الكلمات المعتدلة فى حروفها ، وليس فيها تنافر ، أو صعوبة فى النطق .

ومن قديم كانت لابن الأثير وقفة مع هذه الكلمة أبطل فيها اعتراض متفلسف عليها ، وبين أنها لايسد غيرها مسدها ، وأنها مرتبطة بسائر النظم فى السورة ، ومتجاوبة معه .(١)

دقة الدلالة :

وبجانب وضوح دلالة اللفظ القرآنى نجده دقيقا فى دلالته على المقصود يصيب من المعنى المحز ، ويقع منه فى الصميم ، ويؤدى الغرض أداء كاملا دقيقا ، من غير لبس أو تعمية .

وكيف لايكون اللفظ القرآنى كذلك ! والقرآن هو الداعى إلى عدم استخدام لفظ مكان آخر ، حتى لاتحجب الحقائق ، فقال : (قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم)(٢)

فهو لايرى التهاون فى استعمال اللفظ ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه . ولما كانت كلمة « راعنا » لها معنى فى العبرية مذموم نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بها فقال : يأيها الذين

---

(١) ينظر المثل السائر : ٦٢

(٢) سورة الحجرات . آية : ١٤

آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)(١)، فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدي به المعنى(٢) .

يعبر القرآن الكريم عن العدل الإلهي فيقول: (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا)(٣) .

ويقول : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)(٤) .

ويعبر عن الملكية المطلقة لله عز وجل ، وعدم ملكية الشركاء الذين يدعونهم من دون الله لشيء ما فيقول : (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير)(٥) . فاختار ألفاظ الفتيل والنقير والقطمير ، وهي ألفاظ دلت على المعنى بدقة ، وأدته أحسن الأداء فهي أقل الأشياء وأحقرها في نظر العرب ،وهي التي تقع تحت حسهم ويشاهدونها في بيئتهم ، قال ابن السكيت : القطمير القشرة الرقيقة على النواة ، والفتيل ما كان في شق النواة ، والنقير النكتة في ظهر النواة .

قال أبو منصور : وهذه الأشياء تضرب كلها أمثالا للشيء التافه الحقير القليل(٦)

ويعرض القرآن الكريم لحديث الإفك ، ويبدؤه بوصف الذين

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٤

(٢) من بلاغة القرآن ٥٧ ، ٥٨

(٣) سورة النساء آية ٤٩

(٤) سورة النساء آية ١٢٥

(٥) سورة فاطر آية ١٣

(٦) لسان العرب : مادة : فتل .

اقترفوه ، (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم)(١) وترى فى هذا الوصف دقة الألفاظ فى دلالتها على المراد .

فهذا الإفك قد اختلقه المنافقون من عند أنفسهم ، وأطلقوه من وحى أهوائهم الخبيثة ، وقد دل على ذلك لفظ « جاءوا » أدق دلالة ، وحدد لفظ « الإفك » بمجرد النطق به ماهية هـــذا الذى جاءوا به ، ألا وهو الافتراء والبهتان والإفك ، ودل لفظ « عصبة » على ما بين المنافقين من تعصب لما يروجون ، وتحمس لمـا يقولون ، بناء على العصبية والحمية ، ودون أدنى قدر من تفكر ، أو أثارة من تدبر . وبين لفظ « منكم » معرفة المخاطبين بحقيقة هؤلاء المنافقين ، ووقوفهم على خبث طويتهم ، ومن ثم فعليهم أن يعلموا أن ماقالوه هو الإفك المبين . وبذلك عبرت الألفاظ عن المقصود خير تعبير ، ودلت عليه دلالة دقيقة محددة .

ومن الأدلة على دقة دلالة الألفاظ القرآنية ، مراعاة ما بين الألفاظ من فروق دقيقة وإيثار لفظ منها على غيره .

مثال ذلك :

أننا نجد لفظ « يعلمون » فى الأمور التى مرجع الفصل فيها إلى العقل كما فى قوله تعالى : (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم)(٢) وقوله تعالى : (ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون)(٣) . وقوله تعالى (ويعلمون أن الله هو الحق المبين)(٤) وغير ذلك من الآيات الكريمة .

---

(١) سورة النور آية ١١

(٢) سورة البقرة آية ٢٦

(٣) سورة يونس آية ٥٥

(٤) سورة النور آية ٢٥

ونرى لفظ « يشعرون » فى الأمور التى يكون للحواس مدخل فيها كما فى قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون)(١)

وقوله تعالى : (قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وقوله تعالى : (وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون)(٣) .

وغير ذلك من الآيات الكريمة(٤)

ونجد لفظ « الرؤيا » فى حديث القرآن الكريم عن الرؤيا الصادقة ، ويأتى مفردا دائماً ، للإشعار بالتمييز والوضوح والصفاء ، كما فى قوله تعالى « وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا)(٥) ، وقوله تعالى : « يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك)(٦) وغير ذلك من الآيات الكريمة .

ونرى لفظ « الأحلام » فى الأضغاث المشوشة والهواجس المختلطة

وقد جاء ذلك فى ثلاثة مواضع ، ولم يأت فيها إلا مجموعا ، دلالة على الخلط والتشويش ، وهى قوله تعالى : (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٤

(٢) سورة النمل آية ١٨

(٣) سورة القصص آية ١١

(٤) من بلاغة القرآن : ٥٩

وينظر الفروق فى اللغة : ٧٤

(٥) سورة الصافات آية ١٠٩

(٦) سورة يوسف آية ٥

بل هو شاعر)(١) ، وقوله تعالى : (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين)(٢) .

ونجد مادة الخلط مستعملة فى القرآن الكريم فى المخلوط الذى يمكن تمييز عناصره ومكوناته .

كما فى قوله تعالى : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض)(٣) . وقوله تعالى :(خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)(٤)

فاذا أريد الدلالة على شدة امتزاج عناصر المخلوط بحيث لا يمكن تمييزها جاء لفظ « الشوب » كما فى قوله تعالى : (ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم)(٥) والشوب خلط السوائل ببعضها فلا يتميز منها سائل عن آخر(٦)

وغير ذلك من الأمثلة التى يطول ذكرها ، وهى تدل على دقة دلالة اللفظ القرآنى ، وملاحظة ما بين الألفاظ من فروق وإيثار المناسب منها للمقام .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥

(٢) سورة يوسف آية ٤٤ ، وينظر الإعجاز البيانى للقرآن : ١٩٨ . د/ عائشة عبد الرحمن .

(٣) سورة يونس آية ٢٥

(٤) سورة التوبة آية ١٠٢

(٥) سورة الصافات آية ٦٧

(٦) الإعجاز البيانى للقرآن : ٣١٥

غزارة الإيحاء :

وبجانب الدلالة الدقيقة للفظ القرآنى ، نراه غزير الإيحاءات ، وفير المعانى ، يمتد شعاعه إلى آفاق عريضة ، ويحصل منه المتلقى على معطيات كثيرة .

تقرأ قوله تعالى : (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور)(١) . فنجد الألفاظ مشعة موحية ، تغنى العقل بمعانيها ، وتمتع العاطفة بحرارتها ، فلفظ «أذقنا» يوحى بقلة الجزء الممنوح للإنسان من هذه الرحمة ، فالإذاقة تتم بأقل القليل ، ومع قلة هذا الجزء إلا أنه تشتد مخالطته للإنسان حتى يسرى فى جسمه ، ويحس به عن طريق الذوق ، ويجد له لذة بالغة ، وحلاوة عظيمة ، وينعم به وهو يسبغ عليه الأمن والطمأنينة ، ويفتح له أبواب البركات ، ويغلق دونه أبواب المعضلات .

وفى لفظ «نزعناها» إشارة إلى مدى تعلق الإنسان بهذه الرحمة ، وشدة التصاقه بها حتى كأنها صارت جزءا منه غير قابل للرد ، ولكن الله القوى القاهر ينزعها منه ، وناهيك عما تركه النزع من إحساس بالألم ، وشعور بالعذاب ، ومن ثم وصف هذا الإنسان بأنه « يؤوس كفور » فدل هذا الوصف أقوى دلالة على حالة اليأس التى اعترت هذا الإنسان ، وما صاحبها من كفران لنعم الله عز وجل ، ونسيان لفضائله ، وجحود لآلائه .

وتقرأ قوله تعالى : (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين)(٢) فنشعر من خلال الألفاظ بقسوة العذاب الذى حل بالظالمين ، وشدته البالغة ، وما أكثر هذه القرى الظالمة التى حطمها الله عز وجل ،

---

(١) سورة هود . آية : ٩

(٢) سورة الأنبياء . آية : ١١

كما يفهم من لفظ « كم » ؛ وفي قوله تعالى : « قصمنا » إشعار بضراوة الإهلاك ، وشدة التحطيم والتهشيم ، الذي أصاب قرى الظالمين وأهلها ، من حيث إن لفظ « قصم » في مبناه قوة وضخامة بسبب اجتماع القاف الشديدة المستعلية، مع الصاد المطبقة المستعلية ؛ وفي معناه مبالغة في الكسر والتحطيم ؛ لأن القصم : كسر الشيء حتى يبين وتتناثر أجزاؤه(١) ؛ ودل لفظ « أنشأنا » على سرعة إيجاد البديل ، وإنشائه من لا شيء ؛ لأن في الإنشاء إحداث للشيء وتربيته(٢) .

وتقرأ قوله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)(٣) ؛ فتوحي إليك الألفاظ بكل المعاني الرفيعة التي يجب أن تكتنف الحياة الزوجية ؛ ففي لفظ « لكم » مسارعة إلى بيان خلق الزوجات ترجع فائدته إلى الأزواج ، ويعود نفعه عليهم ؛ وفي لفظ «أنفسكم» إشعار بأن الزوجة مخلوقة من نفس الزوج ، وليست غريبة عنه ، فعليه أن يرعاها ويكرمها ، ويحافظ عليها كما يحافظ على نفسه ؛ وفي لفظ «لتسكنوا» نهر يتدفق بالمعاني الفاضلة ، من الراحة النفسية التي يحسها الإنسان حينما يأوى إلى زوجته بعد جهاده وعنائه في عمله ، والراحة الجسمية بقضاء وطره وإعفاف نفسه وزوجه ، والأمن والطمأنينة عندما يجد نفسه محوطا برعاية زوجته مغشيا بحنانها ، إن لفظ « السكن » يوحي بهذا ، وبأكثر من هذا مما لا يستطاع التعبير عنه بالمقال، وإنما يفصح عنه الحال ، وتترجم عنه المشاعر؛ وفي لفظي « مودة ورحمة » بيان شاف لحقيقة العلاقة التي يجب أن تكون بين الزوج وزوجته ، إنها

---

(١) فقه اللغة : ٢٤١ . الثعالبي .

(٢) المفردات : ٤٩٣ . الراغب .

(٣) سورة الروم . آية : ٢١ .

علاقة أساسها المودة ، وعمادها الرحمة ، وهاتان الكلمتان تضمان من القيم النبيلة ، والمعانى السامية مايقيم الحياة الزوجية الصالحة .

فقد رأينا فى الأمثلة التى ذكرناها غزارة المعانى المستنبطة من اللفظة القرآنية ، وكثرة الإيحاءات المفهومة منها ، ومثلها فى ذلك كل الألفاظ القرآنية ، إذا تأملها الباحث وجد فيها المعانى الكبيرة ، والأسرار المثيرة ، واللطائف البديعة .

الدلالة التصويرية :

ونعنى بها أن يكون اللفظ مصورا لمعناه الذى يدل عليه ، بحيث يرى المتأمل فيه صورة شاخصة لدلالته ؛ وفى القرآن الكريم كثير من الألفاظ التى تصور المعنى وتشخصه ، تارة بجرسها الذى تلقيه فى الأذن ، وتارة بظلها الذى تلقيه فى الخيال ، وتارة بالجرس والخيال معا(١) .

تقرأ قوله تعالى : (يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا)(٢) . فتجد فى لفظى « تمور » و « تسير » تصويراً دقيقا لحركة السماء والجبال يوم القيامة ؛ إن السماء تضطرب ، وتتحرك ، وتلف وتدور بقوة وعنف ، والجبال تسير سيرا سريعا ، وكأنهما قد خلعت عليهما الحياة ، فيتحركان هذه الحركات العنيفة دون توقف .

وتقرأ قوله تعالى : (بل نقـــذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)(٣) ، فترى الألفاظ وقد صورت لك المعنى فى مشهد محسوس ، فالحق قذيفة يقذف بها على الباطل فتكسر دماغه ، وتزهق روحه ،

---

(١) التصوير الفنى : ٧٨

(٢) سورة الطور . آية : ٩ ، ١٠

(٣) سورة الأنبياء . آية : ١٨

ولا يبقى له وجود ، إن هذه الصورة الكلية قد ساهم فى رسمها ألفاظ « نقذف ، وعلى ، ويدمغ ، وزاهق » وكل لفظ منها صور لنا صورة جزئية ، صورة القذيفة ، وصورة الدماغ المهشمة ، وصورة الروح الزاهقة ، وكل ذلك تجمع وتركب فى الصورة الكلية السابقة .

وتقرأ قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها)(١) فترى لفظ « انسلخ » وهو يرسم صورة عنيفة للتملص من هذه الآيات بعد أن كانت محيطة بالشخص إحاطة الجلد بالجسم(٢) .

وتقرأ قوله تعالى : (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)(٣) ، فتجد لفظ « دمدم » يصور لك ما نزل بهم من هلاك دمرهم تدميراً وأطبق عليهم ، ولفظ « سواها » يصور لك شدة تدميرهم حتى صـــارت بلادهم مستوية بالأرض(٤) .

وتقرأ قوله تعالى (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون)(٥) ، فتجد لفظ « الميتة » يصور خمود الأرض وخلوها من النبات ، وتجـد لفظ « أحييناها » يصور حركة الأرض بالنبات ، وازدهار الحياة على وجهها .

وغير ذلك من الأمثلة التى يضيق المقام عن ذكرها ، وفى جميعها تجد اللفظة القرآنية تصور المعانى العقلية ، وتبرزها فى مشاهد محسوسة ، وصور مفعمة بالحياة والحركة .

---

(١) سورة الأعراف . آية ١٧٥ .

(٢) التصوير الفنى فى القرآن : ٨١

(٣) سورة الشمس . آية : ١٤

(٤) المفردات : ٢٥٢ .

(٥) سورة يس . آية : ٣٣

وبما قدمناه فى موضوع اللفظ من حيث دلالتـه ، نرى أن اللفظ القرآنى واضح فى دلالته ، لا غرابة فيـه ولا ابتذال ، دقيق فى معنـاه ، لا تجاوز فيه ولا تمويه ، غزير فى إيحاءاته ومعطياته ، يصور المعـانى الذهنية ، ويجسم اللطائف العقلية ، حيثما اقتضى المقام ذلك .

اللفظ القرآنى من حيث موقعه :

من المقرر عند البلاغيين أن اللفظة لا تظهر قيمتها التعبيرية ، ولا تبدو فضيلتها على ماسواها إلا من خلال التركيب الواقعة فيه .

واللفظة فى التركيب البليغ يجب أن تتلاءم مع ماقبلها ومابعدها ، وأن تتناسب مع سـابقتها ولاحقتها حتى يستقيم النظم ، ويؤدى الغرض المنوط به .

« ولا نظم فى الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك . . . ولا تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحه إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعانى جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها(١) .

وحينما توصف الكلمة بالتمكن ، فذلك يعنى حسن ملاءمتها لجاراتها ، وحينما توصف بالقلق والنبو ، فذلك يعنى سوء التلاؤم ، وأنها لم تصلح أن تكون قرينة لجاراتها(٢) .

والكلمه القرآنية متمكنة فى موقعها أشد تمكن ، فهى متناسبة مـع جاراتها ، ومتـــلائمة مع سابقتها ولاحقتها ، لا يصلح غيرها لموقعها ،

---

(١) دلائل الإعجاز : ٤٤ ، ٥٥ .
(٢) ينظر السابق : ٤٥ .

ولا تصلح هي لغير موقعها ، إنها متجانسة مع كل السياق ، ومتناسقة مع جميع التراكيب ، قد استوفت جميع مقومات الفصاحة ، واكتملت فيها جميع الخصائص الفنية التي تجعلها تؤدي دلالتها أكمل أداء ، بحيث تكون مع جاراتها نظماً معجزاً يتحدى الفصحاء والبلغاء .

تقرأ قوله تعالى : (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين)(١) ، فتجد الألفاظ يلائم بعضها بعضا ، ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها غير لائقة بمكانها ، فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها وهي التاء فإنها أقل استعمالا ، وأبعد من أفهام العامة ، أتى سبحانه بأغرب الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها « فإن « كان » وما قاربها أعرف عند الكافة من « تفتأ » ، وأتى سبحانه بأغرب ألفاظ الهلاك وهو « حرضا » فهذه اللفظة أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك ، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة أو الاستعمال ، توخياً لحسن الجوار ، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع ، وتتناسب في النظم »(٢) .

وتقرأ قوله تعالى : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)(٣) ، فتجد تلاؤما قويا بين الألفاظ ، وربما يخفى هذا على قصار النظر ، فيقولون كان الأنسب أن يقرن الظمأ بالجوع ، والضحى بالعري ، ولكن المتأمل يجد أن النظم القرآني أشد تلاؤما وأقوى تناسبا حيث قرن الجوع بالعري لما للإنسان فيهما من مزيد المشقة وعظيم الألم بملابستهما ، وقرن الاستظلال بالري لما في ذلك من مزية الامتنان

---

(١) سورة يوسف . آية ٨٥ .

(٢) بديع القرآن : ٧٧ . ابن أبي الإصبع .

(٣) سورة طه . آية : ١١٨ ، ١١٩ .

وإكماله ، كما أن الجوع يلحق منه ألم فى باطن الإنسان وتلتهب منه أحشاؤه ، والعرى يلحق منه ألم فى ظاهر جسد الإنسان ، فلهذا جمع بينهما لما كان أحدهما يتعلق بالظاهر والآخر يتعلق بالباطن ، والظمأ يحرق الكبد ويوقد فى الفؤاد النار ، والضحا يحرق الجسد الظاهر ، فلأجل هذا ضم كل واحد منهما إلى ماله به تعلق لتحصل المناسبة(١) .

وتتأمل فى قوله تعالى : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعـــداً للقوم الظالمين)(٢) .

فترى التلاؤم قويا بين الألفاظ ، كما تجد التناسب شديداً بين الجمل ومن قديم وقف الإمام عبد القاهر أمام هذه الآية مبيناً ما بين ألفاظها من إرتباط ، وتلاؤم ، وأن هذا أساس مزيتها ، وسبب فضيلتها وقال : إن شككت فى هذا فتأمل : هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت ، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهى فى مكانها من الآية ؟ قل : « إبلعى » واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها .

وكيف بالشك فى ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة فى أن نوديت الأرض ثم أمرت ، ثم إن كان النداء بيادون أى ، نحو : يأيتها الأرض ، ثم إضافة الماء إلى الكاف ، دون أن يقال : إبلعى الماء ، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها ، نداء السماء ، وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل : « وغيض الماء » فجاء الفعل على صيغة « فعل » الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر ، وقـــدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى :

---

(١) ينظر الطراز : ٢/١٤٩ ـ العلوى

(٢) سورة هود : أية : ٤٤

« وقضى الأمر » ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور ، وهو « واستوت على الجودى » ثم إضمار السفينة قبل الذكر ، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ، ثم مقابلة « قيل » فى الخاتمة « بقيل » فى الفاتحة ! أفترى لشىء من هذه الخصائص التى تملؤك بالإعجاز روعة ، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها ، تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى فى النطق ؟ أم كل ذلك لما بين الألفاظ من الإتساق العجيب ؟(١) .

ويصل الإمام بعد هذا التحليل الدقيق إلى الحقيقة التى يريد توضيحها وتقريرها فيقول : فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلم مفردة ، وأن الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها ، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ(٢) .

وتختلف اللفظة القرآنية عن سالفتها إتساقا وتلاؤما مع التى تليها ، وتجد مثالا لذلك فى قوله تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)(٣) .

فقد عبر عن الفريق الأول بالموصول الذى صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثانى باسم الفاعل المفيد للدوام للإيذان بأن ما ظهر من الأولين صدق حادث فى أمر خاص غير مصحح لنظمهم فى سلك الصادقين ، وأن ما صدر عن الآخرين وإن كان كذباً حادثاً متعلقا بأمر خاص ، لكنه أمر جار على عادتهم المستمرة ناشىء عن رسوخهم فى الكذب ، وعبر عن ظهور الصدق بالتبين ، وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من أن

(١ ، ٢) دلائل الإعجاز : ٤٥ ، ٤٦

(٣) سورة التوبة أية ٤٣

مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلى فظهور صدقه إنما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا ، وأما كذبه فأمر حادث . لا دلالة للخبر عليه فى الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له ، بل هو نقيض لمدلوله ، فما يتعلق به يكون علما مستأنفا(١) .

وفى قوله تعالى : (وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)(٢) عبر بالحبوط فى الأول ، وبالبطلان فى الثانى ، فكان التلاؤم التام ، وائتلاف اللفظ مع المعنى .

قال أبو السعود : ولأجل أن الأول من شأنه استتباع الثواب والأجر ، وأن عدمه لعدم مقارنته للإيمان والنية الصحيحة ، وأن الثانى ليس له جهة صالحة قط ، علق بالأول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبىء عن الحدوث ، وبالثانى البطلان ، المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ، ثابتا فيه(٣) .

وبتغير اللفظ القرآنى ، أو بتغير موقعه فى الآيات المتشابهة ، تناسبا مع المقام ، وائتلافا مع المعنى ، وفى هذا دليل على دقة موقع اللفظ القرآنى ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى فى سوره آل عمران : (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر)(٤) ، وقوله تعالى فى سورة مريم : (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر

---

(١) تفسير أبى السعود ٤/٦٨ ، ٦٩

(٢) سورة هود . آية ١٦

(٣) تفسير أبى السعود ٤/١٩٤

(٤) سورة آل عمران آية ٤٠

عتيا)(١) فتغير موقع « إمرأتى عاقر » فى الآيتين ، وجاء فى آية مريم لفظ « عتيا » وقد أدى هـــذا إلى التلاؤم التام بين الألفاظ ، والتناسب بين الفواصل ، والآية الأولى تسلك المسلك الطبعى ، حيث بين زكريا حال نفسه ، ثم حال امرأته ، أما الآية الثانية ، فقد تقدمها فى السورة هذا الترتيب الطبعى فى قوله تعالى : (قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً)(١) ، فلما أعيد ذكر هذا جاء على نسق آخر ، وأخر فيه ذكر الكبر ليوافق « عتيا » فاتحدت فواصل السورة فى مجيئها على هذا النسق البديع الذى نجده فى سورة « مريم »(٢) .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة : (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذين قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)(٣) وقوله تعالى فى سورة الأعراف : (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطـــة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتـكم سنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون)(٤) .

فهذه آيات متشابهة ، وقد وقع بعض الاختلاف فى نظمها بزيادة لفظ ، أو تقديم وتأخير ، أو تغيير كلمة ، وذلك مما يقتضيه المقام ويؤدى إلى تلاؤم الألفاظ مع جاراتها ، ويحقق ائتلاف الألفاظ مع المعانى .

---

(١) سورة مريم أية ٤ ، ٥

(٢) ينظر أسرار التـكرار فى القرآن ٤٧

(٣) سورة البقرة أية ٥٨ ، ٥٩

(٤) سورة الأعراف أية ١٦١ ، ١٦٢

ففى البقرة قيل « فكلوا » ، وفى الأعراف قيل « وكلوا » ، وذلك لأن الأكل فى الأولى مسبوق بادخلوا ، والدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل على الفور ، فكان العطف بالفاء وفى الثانية مسبوق باسكنوا ، والمعنى أقيموا فيها ، وذلك ممتد ، ووقته طويل ، والأكل لا يتعلق وجوده به ، فكان العطف بالواو والمعنى فيه : اجمعوا بين الأكل والسكنى .

وفى البقرة جاء لفظ « رغدا » ، وذلك لأنه لما أسند القول فى البقرة إلى الله عز وجل ، ناسبه بيان عظمة الإنعام وجسامته ووفرته ، وإذا تقدم اسم المنعم الكريم اقتضى ذلك ذكر نعمته الكريمة . وفى الأعراف لم يسند الفعل إلى الذات العلية فلم يذكر معه ما ذكر فى البقرة .

وفى البقرة قدم قوله « وادخلوا الباب سجدا » على قوله « وقولوا حطة » على عكس ما فى الأعراف وذلك لأن الأمر وارد فى البقرة بدخول القرية ، فناسب ذلك تقديم الأمر بدخول الباب سجداً ليبين لهم كيفية الدخول .

وفى البقرة قيل : « خطاياكم » بجمع التكسير المفيد للكثرة ، وفى الأعراف قيل « خطيئاتكم » بجمع المؤنث السالم الدال على القلة ، وذلك لأنه لما أسند الفعل فى البقرة إلى الله عز وجل « وإذ قلنا ادخلوا . . . » ناسب ذلك بيان سعة مغفرته ، وشمول عفوه ، بالإتيان بصيغة الكثرة الدالة على عموم المغفرة ، وكمال العفو .

وفى البقرة قيل « وسنزيد » ، وفى الأعراف « سنزيد » بغير واو ، لأن اتصالها بما قبلها فى سورة البقرة أشد ، لاتفاق لفظها مع لفظ « قلنا » ولأن قوله « اسكنوا » فى الأعراف لا يصح على رأى البصريين أن يكون مكان الفاعل ، بينما يصح أن يكون قوله « ادخلوا » فى موضع المفعول ، ومن هنا صار « اسكنوا » كأنه منفصل عن الفعل فى الحكم ، وإن كان

متصلا به فى اللفظ ، وجوابه قوله : « نغفر لكم » والجواب فى حكم الابتداء ، ينفصل كما يتصل ، ولا دليل فى اللفظ على انفصاله إلا بفصل ما أصله أن يكون متعلقا به بحـــرف عطف ، وهو « سنزيد المحسنين » بحذف الواو منه ، واستئنافه خبراً منفرداً .

وفى البقرة قيل : « فبدل الذين ظلموا قولا » وفى الأعراف : « فبدل الذين ظلموا منهم قولا » ، وذلك لأن أول القصة فى الأعراف مبنى على التخصيص والتمييز بدليل قوله تعالى قبل ذلك (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)(١)، فذكر أن منهم من يفعل ذلك ثم عد صنوف إنعامه عليهم وأوامره لهم فلما انتهت ، قال : « فبدل الذين ظلموا منهم قولا » فأتى فى آخر ما حكى عنهم من مقابلة نعمة الله عليهم بتبديلهم ما قدم به القول إليهم بلفظ « من » التى هى للتخصيص والتمييز بناء على أول القصة .

وفى البقرة قيل : « فأنزلنا على الذين ظلموا » وفى الأعراف قيل : « فأرسلنا » وذلك لأن لفظ الرسول والرسالة كثرت فى الأعراف فجاء ذلك وفقا لما قبله ، وتلاؤما مع ماسبقه(٢) .

ومن هذا البيان المفصل لمـا بين الآيات المتشابهة من فروق دقيقه ، ندرك أن اللفظ القرآنى شديد التلاؤم مع قبله وما بعده ، قوى التآلف مع ما يجاوره من ألفاظ ، وأنه فى موقعه شاهد من شواهد الإعجاز القرآنى ، ودليل من أدلة كونه من عند الله العليم ، الحكيم ، «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيراً »(٣) .

---

(١) سورة الأعراف أية ١٥٩

(٢) ينظر فى تحليل هذه الآيات : درة التنزيل وغرة التأويل : ١٤ وما بعدها ، وأسرار التكرار فى القرآن : ٢٨ وما بعدها .

(٣) سورة النساء أية ٨٢

خاتمـــة :

وبعد هذه المسيرة النورانية فى رحاب اللفظ القرآنى ، والتى بينا فيها خصائصه وسماته ، من حيث مادته ، وهيئته ، ودلالته ، وموقعه ، نقف لنقرر أن اللفظ القرآنى معتدل فى مادته ، لا ثقل فيه ولا تنافر ، جميل فى هيئته ، قد جاء على أحسن الصيغ وأقواها دلالة ، تشع المعانى من مادته وهيئته وموقعه ، فهو كامل فى دلالته ، غزير فى إيحاءاته ، يقع من النظم موقعا دقيقا لا يصلح لغيره ، ولا يصلح غيره له .

واللفظ القرآنى غزير المعانى ، كثير الأسرار ، وهو فى حاجة إلى دراسات تكشف أسراره ، وتسبر أغواره ، وتوضح مكانته فى إعجاز القرآن الكريم ، وآمل أن يكون هذا البحث المتواضع قد أسهم فى هذا المجال قدر الطاقة ، والله من وراء القصد ، « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

دكتور
الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت
المدرس بقسم البلاغة والنقد

المراجع

١ — الإتقان فى علوم القرآن . السيوطى . ط . مصطفى الحلبى
٢ — أسرار التكرار فى القرآن . الكرمانى . دار الاعتصام
٣ — إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . الرافعى . المكتبة التجارية الكبرى .
٤ — الإعجاز البيانى للقرآن . د. عائشة عبد الرحمن . دار المعارف
٥ — الإيضاح . القزوينى . تحقيق خفاجى . الكليات الأزهرية
٦ — بديع القرآن . ابن أبى الإصبع . تحقيق . حفنى شرف . نهضة مصر .
٧ — بغية الإيضاح . عبد المتعال الصعيدى . صبيح .
٨ — البيان والتبيين . الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . الخانجى
٩ — تجريد البنانى مع تقرير الإنبابى . مطبعة السعادة .
١٠ — التصوير الفنى فى القرآن . سيد قطب . دار المعارف .
١١ — تفسير أبى السعود . محمد بن العمادى . دار إحياء التراث العربى
١٢ — تفسير البيضاوى ، على هامش حاشية الشهاب . دار صادر . بيروت .
١٣ — حاشية الشهاب على البيضاوى ، الشهاب الخفاجى . دار صادر . بيروت .
١٤ — خصائص التراكيب . د. محمد أبو موسى . مكتبة وهبة
١٥ — خصائص التعبير فى القرآن . د. عبد العظيم المطعنى . خط . كلية اللغة العربية
١٦ — درة التنزيل وغرة التأويل . الإسكافى . دار الآفاق

١٧ — دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني . تحقيق . محمود شاكر . الخانجي .
١٨ — سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي . تحقيق الصعيدي . صبيح .
١٩ — الصناعتين . أبو هلال العسكري . الآستانة
٢٠ — الطراز المتضمن لأسرار البــــلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . العلوي . دار الكتب العلمية .
٢١ — الفروق في اللغة . أبو هلال العسكري . دار الآفاق
٢٢ — فقه اللغة وسر العربية . الثعالبي . ط مصطفى الحلبي
٢٣ — الكشاف عن حقائق التنزيل . الزمخشري . ط . مصطفى الحلبي
٢٤ — لسان العرب . ابن منظور . دار المعارف
٢٥ — المثل السائر . ابن الأثير . مطبعة حجازي
٢٦ — المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهاني . دار المعرفة . بيروت .
٢٧ — من بلاغة القرآن . د . أحمد بدوي . نهضة مصر